
كريم العقبي
كراكلا
رواية
يسطرون للنشر والتوزيع

رواية

كراكلا



تأليف

كريم العقبي

إصدارات ملتقى السرد العربي عن مؤسسة
يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



الطبعة: الأولى

رواية : كراكلا

المؤلف: كريم العقبي

التصميم والإخراج: حسن عبد الحليم

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ٠٠٠٠٠ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: 978-977-993-000-0

العنوان: ١٩٦ شارع الملك فيصل - محطة الطوابق - الجيزة

التليفون: ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : Yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب





الإهــداء

إلى أبي الحاج محروس محمد السيد العقبي: الصياد المتقاعد ولكنه بمعاشه سيظل ولي نعمتي وأبي الروحي قبل أن يكون أبي البيولوجي . . . فأنا بدونه في خبر كان، وما دمنا وذلك إلى حين إشعار آخر في سبيل الإفصاح بواسطة الصحافة الاستقصائية عن ثالثة الأثافي في دهاليز بلاط صاحبة الجلالة أجعل له دون غيره قول المتنبي:

وما شكرت لأن المال فرّحني

سيان عندي إكثار وإقلال

كريم العقبي™ . . . .





الجرعة تدل على الغدير

إنه ذاك الصوت من العالم الآخر الذي مات متوسدا ذراعيه وذلك في ريق الشباب أي أفضله بعدما تخير ما بين أن يضرب له موعد أو يضرب عليه الحصار، فلقد تبخرت آماله لردح من الزمن ولكنه عن قلى[١] وفي فحمة الليل دلني قبل وفاته على من أبديت له صفحتي كصندوق للشكاوى والمقترحات بالخضوع لاستكتاب فوجد من خلال العينة الخطية

(١) قلى: كراهية وحيرة.....

هو وغير واحد ضالتهم في القريض[1] مما طرح عن بالهم الكلال والملال بمختلف القطاعات، فتم ترك الحبل لهم على الغارب بالتدرج صعدا بأن أخذهم من الأمر ما حدث وما قدم إلى أن نما لديهم انطباع توهموا فيه بأن في استطاعتهم أن يخالفوا كل التوقعات بجلاء الغوامض حتى ما كان مرئيا منها، وإن تطلب ذلك ليتحقق جهدا جهيدا يزخر بالطاقة بحيث يصدق عليهم القول بما لا يأتيه الشك من منفذ بأنه لا مضاهاة لعملهم ولو بمناطحة السحاب...

فلقد خاض كل منهم سادرا[2] حربا بالوكالة ثم هوى من عالق وكأنما داهمته عملية إبرار جوي،

(١) القريض: الشعر والقصائد....
(٢) سادرا: متحيرا...



وإن لم يتبعهم بكل اتكالية الغاوون الذين كبكبوا فيها بعدما افتضح أمرهم عن طريق الصدفة وليس الخطأ بما يتعذر سبره كقول مرذول ورأي مخذول، فهذا لدى الشعراء مهما أخذتهم الحماسة أو تذرعوا بالهدوء ولو بعد عمر مديد من رابع المستحيلات ولو افترضنا جدلا أنهم بوسيلة لا تتفق والمألوف أو بصفة دورية أصابوا منها مقتلا أو عضوا عليها بالنواجذ كشهود عيان للنقاط المرجعية لمجمل القوة المتعلقة بطرف ما إذا ما استدعت الضرورة ذلك بما فيها من اندياح[1] لمقام الأحداث، فمهما كان فإن ميدان العمل ليس هو نفسه كميدان القول إذ كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟! فللضرورة

---

(١) اندياح: توسع واستفاضة......

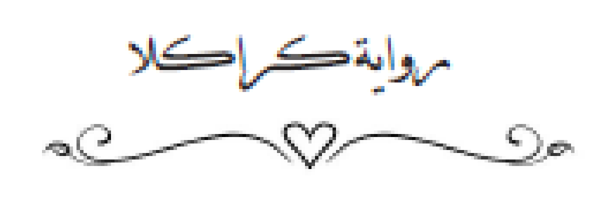




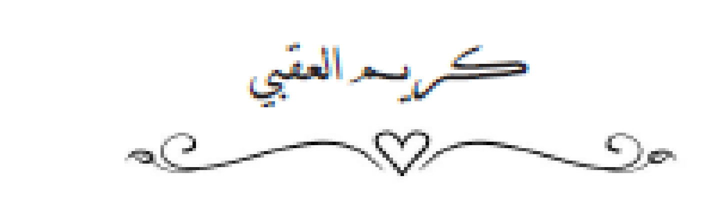
أحكام أو كما قال مارك توين: الجميع يتحدث عن الطقس ولكن لا أحد يقوم بإجراء ضده، فسبحان الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وإن بدت عليهم مخايل طيب العيش والعز....

فلقد احتدم الأمر لدى النقابي العمالي الذي أعمل تحت إمرته - وليس لحسابه - حينما رآني؛ حيث عيل صبره بعدما ناشدني أكثر من مرة أنه في حال قمت بتغيير رقم هاتفي أن أحيطه علما بذلك، فهذا وكأنني بجرة قلم قمت بقرع ناقوس الخطر لملامح عصيان راشح بالازدراء أو حدوث خلل بإيغار بوقيعة لدى المشتغلين بكيان الخدمة العمومية الضارب بجذوره في الأعماق وذلك ساعة افتتاحه، سألته: «ماذا هنالك؟» فقال لي: «منذ وأن نشرت



روايتك المنعوتة بـ «كارجو»، والبشر أجمعون في حالة ذهول وركض لاهث وكأنما استبد بهم الهلع وتملكهم الخوف»، فأخبرته بأن العمل الأدبي إنما هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، لذا فإنما هي مجرد رواية لا تقدم ولا تؤخر، كل ما في الأمر أنني بفضل هذه الرواية انضويت في بؤرة الأحداث بسبب بعض الأسئلة التي كانت تصطخب بداخلي وتستحر حتى ولو كان مدلولها ـ أي الرواية – فيه من تشتيت الجهود أو المبالغة في طلب الكمال، فكل ما مضى كان وكأن لي بين الضلوع جنازة أمشي بها وحدي وكلي مأتم، فسألني: «وما الجديد إذا بعد كارجو؟» فأخبرته أنني بالفعل بعد «كارجو» نشرت رواية «وراء الحجرات»، وتم ذلك في فترة متقاربة

لأن الروايتين من وحي مصدر واحد كما لو أنه بلغة الاحتمالات اشتد بصاحبه حديث العهد بالكتابة، وحان الدور على رواية «كراكلا»، والتي قد تثير لغطا واسعا بما فيه الكفاية في أوساط من قد يرون أنها رواية بالأساس ليس هناك من سبب محدد لكتابتها ولا طائل من وراءها ولا داع ولا قابلية ولا آمال معلقة؛ مما يظهر الندم ويستعذب الاشمئزاز، وكأنه عار عليك ـ أي الكاتب – إن فعلت عظيم.... ولكنه قال: «لا عليك يا صديق، اصنع ما بدا لك واستمر في استكمال ما تقصد إليه، فقد يتلقفونك باستقبال الفاتحين، فمعظم النار من مستصغر الشرر، فقط عليك الاضطلاع بنسف حمامك القديم حتى يتأتى لك الحظ الأوفر في قادم المواعيد»... فامتثلت

لمقولته عن طيب خاطر وكيف لا وهو كما أسلفت وبحكم الأمر الواقع دوما ما يترك لي حرية التصرف ليقوم مرارا وتكرارا بالإطراء على حسن صنيعي معه أثناء دوام العمل رغم أنني كثيرا ما اقتعد عنه؟

***

فلقد جاءت المقولة ذات الأصل الفرنسي: «فتش عن المرأة» لتكون بالمرصاد ضد أي أنثى تحاول إبراء ساحتها في التملص من قبضة العناء أو حتى الترويح عن نفسها ضمن هذا العالم مضطرم العواطف والنوازع الوجدانية، وذلك ما نغص الحياة على امرأة برقة ودلال مصممة الأزياء المغربية لارين حشمت وجعلها تلوذ بالصمت وتتحصن بالسكوت فهي تؤمن بأن خطيئة الرجل هي نفسها خطيئة



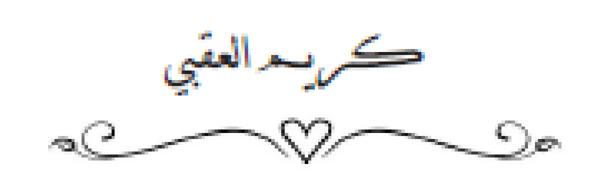
المرأة، فالجميع أمام القانون سواسية، وما باليد حيلة إزاء هذه الترهات، ولكن حين جاءت واقعة الأكاديمي السويسري من أصل مصري وهو طارق رمضان أحدث ذلك لها تشوشا نوعا ما، فهو حفيد مؤسس الإخوان المسلمين، وابن أحد الرعيل الأول للجماعة ذات الصرح الذي كل ما فيه حسن ولكنه قد مال للعفن بأن نازعوا الأمر أهله بقولهم إن الحدود تراب رغم أن الجغرافيا أبدا لا تفصل ما وصلته الطبيعة على حد قول جمال حمدان في موسوعته شخصية مصر، فهذا الشخص قد غير أقواله، فبعدما أكد أن ما جرى بينه وبين صديقتها الفرنسية هندة عياري كان بالتراضي، أقر على نفسه بأنه قام بعدة انتهاكات واستلاب للرضاب الوضيء مقصود لذاته




لا لغيره وكذلك عرك للنهود النافرة تلقاء مجموعة من الإناث من بينهن هندة، ولكن في حقيقة الأمر أنه لا غرو أن سوء العاقبة دوما يقبع سريانه حينما تنعقد سحب الخيانة بتمزيق رباط الزوجية في تصرف الأنثى قبل تصرف الذكر، فهي المدرسة التي إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق لأن كل إناء بما فيه ينضح حتى وإن كان ما خفي أعظم... فالمرأة وكما قال أنيس منصور خرجت من الرجل، لا من رأسه لكي تتحكم فيه، ولا من قدميه لكي توقعه، وإنما من أحد جنبيه لكي تكون إلى جواره، ومن تحت ذراعيه لكي تكون في حمايته، وبالقرب من قلبه لكي يحبها...

فهذه المصممة العالمية وقع عليها الاختيار





لتنفيذ تصاميم الثياب لأحد أفلام الدراما الاجتماعية وإن كان سيناريو الأحداث الذي يتضمنه لا يعجبها، فالمؤلف يبحث عن سبب مقنع ورأي راجح لمسببات جرائم الخيانة التي تدور حولها الكثير من علامات الاستفهام؛ مع التأكيد أن غاية المقصد من ذلك تصاعد للأحداث على خلفية هذه المسألة هي أشكال الخيانة التي تنال ما تم إبرامه من عقود النكاح الجائزة لا الفاسدة أو الباطلة، فالمأخوذ به لدي العامة أنه من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر، ولكنها في المجمل فعلة نكراء تشكل تهديدا ينهش في الصحة الإنجابية ناهيك أنها لا تعود بالنفع على أي من الطرفين سواء النسوي أو الذكوري، فهذه هند بنت عتبة ـ رضي الله عنها – تحسم هذا الجدل



بقولها الذي يمتقع لمسمعه لون كل ذي رفعة وشأن: «أوتزني الحرة؟!»، هذه الحرة التي تجوع ولا تأكل بثدييها، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي لا ينطق عن الهوى ولكن الناس تجرأوا بأن يتفوهوا بما قد بعث إليه وكأنه حبيس أهوائهم موضع المناقضة يقول: «أترضاه لأمك؟ أترضاه لأختك؟»، هذا الموضوع الذي تمحورت حوله الكثير من الروايات المتراصة بكثافة ضمن مقتنيات المكتبات، فهذه الروايات التى يقال لها روائع الأدب العالمي وكأنه لا بواكي لمثل هكذا فواجع حيث الوقوع في محطة فارقة ومفصلية بين مطرقة ما للأنين من طنين وسندان كيد الله المتين ـ سبحانه – موهن كيد الكافرين مهما أخذتهم العزة بالإثم ومكروا مكرا كبارا، فهذا الفيلم



الذي تحاول لارين إدخال تعديلات على كواليسه بما يمنع من وقوع الفأس في الرأس ولكن بتناغم للألحان وانحباس للأنفاس سيتم تصويره هنا في مدينة كراكلا الواقعة على ساحل المتوسط.....

***

هذه المدينة أينع حلم إقامتها عند الإمبراطور ذو الأب الفينيقي والأم السورية كراكلا الذي وضع حجر أساسها، وإن كان هذا الاسم جرى تداوله بين الناس مؤخرا بعد عدة كشوفات أثرية تم التوصل من خلالها إلى أن ذلك الإمبراطور هو صاحب الفضل في تأسيس تلك المدينة التي كثيرا ما تغير اسمها بتعاقب الأزمنة، وهنا نحن نرى أن الأمر تم البت فيه نهائيا بأن أصبحت المدينة وكأنها منذ قديم

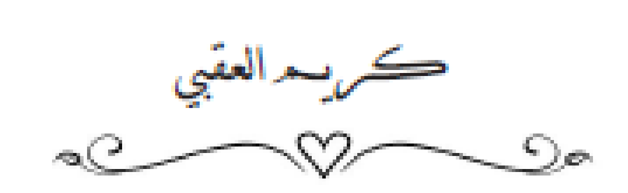




الأزل باسم كراكلا ذلك الإمبراطور الذي تم الإيقاع به على أيدي جنوده ذوي الرغبة الطاغية والبحث المستمر عن الثروة والمكانة والسلطة مما لا يدع أي مجال للشك بأن يكون من المتعين معه والحال كذلك الجزم بأن كل ذي سلطان هو ذو حظ عاثر وأن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة، ففي كراكلا كثير من المسارات التي قد تمشي إليها ولكنها لا تمشي إليك، ولكنك في النهاية توجب على نفسك ما يجعلك متمسكا بقول الشاعر: «دنياك سكك، حافظ على مسلكك»، فهذه المدينة درس فيها إسحاق خفاجة ـ مخرج الفيلم – حتى حصل على الدكتوراه من المعهد العالي للسينما ودارت أطروحته المقدمة للجنة التحكيم حول: «نجيب محفوظ ونصيبه الوافر

وسجله الحافل في تغذية حقل الفن السابع»... ووقع عليه الاختيار هو الآخر لإخراج الفيلم لأنه تطرق إلى نفس تلك القضايا على نحو ما ذهبت إليه لارين حشمت وذلك خلال أطروحته، وبالتالي يمكننا القول أن الطيور على أشكالها تقع والرفيق قبل الطريق إذا ما ضقنا ذرعا أثناء فض المغاليق... ومن هنا اجتمع إسحاق بلارين لوضع اللمسات الأخيرة لهذا الفيلم الذي سخرت له ميزانية ضخمة تقدر بآلاف الآلاف أي الملايين من الدولارات، حيث يبدأ الفيلم بلقطة بانورامية للمدينة، ثم يشرع سطوع الضوء شيئا فشيئا في التضاؤل والخفوت لدرجة يتعذر معها على المشاهد أن يميط اللثام عما يدور من أحداث، وتنتهي اللقطة بمشهد لجثة

غارقة في دماءها... ويستكمل الفيلم بالتحقيق في جريمة القتل تلك، وسيتم ذلك على النحو الآتي بمضمون هو كتوليفة من عناصر الإبهار البصري وكذلك التلقائي وعلى كل شكل ولون... فلقد تم إلحاق شاب التجنيد الينيع ممدوح عبد الفضيل عزت إلى سلاح الخدمات الطبية حيث إنه قد تخرج في أحد المعاهد الصحية وتخصص في الإحصاء الطبي، وكانت الوحدة التابعة لحرس الحدود والتي سيقضي فيها مدة تجنيده لحسن حظه في مدينته الأم كراكلا، ولحظة دخوله من بوابة المعسكر خضعت حقيبته لتفتيش، ثم انتهى به المطاف إلى أحد العنابر، فارتمى على سرير ذي مرتبة مهترئة، وأخلد إلى النوم العميق ساعة القيلولة إلى أن استيقظ على





وقع خطى العريف النبطشي الذي لم يتمالك نفسه من الصياح فيه موبخا لأنه لم يلتزم بالتعليمات، فاستجداه ممدوح أن يرفع عنه الحرج لأنه لا يزال مستجدا في الخدمة، ولكن العريف النبطشي أصر على توقيع عقوبة عليه إلا أنه وفي جزء من الثانية تم إعلان الطوارئ داخل المعسكر ترقبا لوصول أحد كبار القادة، وذلك ما جعل ممدوح يتنفس الصعداء، لكن النبطشي لم يتركه لحال سبيله بل توعده بأن أمعن النظر إليه شزرا بعين جاحظة ترسل لظى وشواظا... ثم جاءت اللحظة المرتقبة بقدوم القائد الذي أثنى على جاهزية الوحدة العسكرية للقتال وتم ذلك عبر عدة مراحل أهمها القدرة على الاصطفاف في لمح البصر، ولكنه أعرب عن أنه في حيرة من





أمره نظرا لحالة الفوضى التي كانت تضرب أطنابها وسط المدينة وهو في طريقه إلى المعسكر، فاستأذن ممدوح من أجل الحديث عن منشأ الفوضى، إلا أن النبطشي انتهره قبل أن يجيب إلى طلبه بعلم الوصول للأقدمية من واقع السجلات الرسمية الأميرية، مما جعل ممدوح يطرق كسيف البال صامتا وجبينه يتفصد عرقا، وهكذا انتهى طابور العرض...

وحينما انفرد النبطشي بممدوح سأله: «ما الذي كنت تريد قوله للقائد؟» فرد ممدوح على وجه السرعة: «إن السبب في الفوضى التي تحدث عنها القائد جريمة قتل حدثت على أطراف المدينة عند ملتقى البحر بالبحيرة»... فعاجله النبطشي بالسؤال: «لقد قال القائد بأن الفوضى في وسط المدينة

وأنت تقول بأن الجريمة حدثت في أطرافها، فكيف أصدقك؟» فقال ممدوح: «يا حضرة العريف النبطشي إن الجريمة كانت عند الأطراف لكن الفوضى دبت في وسط المدينة حيث تقع المستشفى العام الذي يرقد فيها جثمان القتيل... ولقد تجمهر المارة لأن القتيل هو شخصية مرموقة واسمه رأفت مبخوت وهو يعمل في الاستزراع السمكي، حيث شاع عنه في الفترة الأخيرة بضعة مقاطع فيديو منافية للآداب مع امرأة لديها حالة من فقدان الذاكرة التفارقي وهي تدعى ألفت مشهور... وقد كانت هناك محاولة من ذويه ـ أي القتيل - للتستر على الواقعة لكن سبق السيف العذل بأن تأيمت زوجته بضجعة موته قبل أن تطلب الطلاق، ومن رأيي أنه حسنا فعل القاتل بعدما




وجد أحوال القتيل في تضعضع بأن أولاه ذلا، وسامه خسفا، وهشم ما له من صولة، أم ماذا تقول حول هكذا موضوع؟» فرد النبطشي قائلا: «الدنيا والدوام لله، ولكن ما هو فقدان الذاكرة التفارقي هذا؟» فرد ممدوح بمنتهى الأريحية: «ناولني سيجارة أولا ثم نتحدث في الموضوع وعلى المتضرر اللجوء للقضاء»، ومن هنا نشب الشجار بينهما، فانهالا على بعضهما ضربا بالركلات واللكمات والصفعات فتم الفصل بينهما ومن ثم إيداع كل منهما على انفراد في سجن المعسكر لمدة أربعة وعشرين ساعة، على أن يمنع عنهما التدخين لحين انقضاء مدة ساعات العقوبة مع التأكيد على أن كلا منهما قد ثاب الي رشده... وقد كان... إلا أنه وبعد أن خرجا من





السجن تم سحب لقب النبطشي من العريف الذي ظن نفسه أحد المنتمين للطغمة من فداوية القائد الأشاوس، وأصبح مثله مثل غيره من الجنود، وهذا جعل الفرصة سانحة لدى ممدوح من أجل الانتقام بعدما كان في حالة من توخي الحذر تجاه ما يضمره له العريف من شر ورغبة في الحط من شأنه، فهناك نية لتعمد الإيذاء النفسي والبدني، وهذا ما نزل بممدوح من العريف، ولكن جاءت صيرورة الأيام على أحسن ما يكون نظرا لأن سلاح الخدمات الطبية هو سلاح بالأحرى لا يستوجب التشبث بالتقاليد العسكرية مهما طال الأمد... ولكن يبقى الحديث عن فقدان الذاكرة التفارقي لأن من حق القارئ أن يعلم عنه بعض الشيء.. ولكنني لن أتحدث عنه،




فمحركات البحث تعج بالكثير من الأقاويل حول هكذا توعك واعتلال، لكنني سأصدقكم القول في ألا أحد من ضحايا طارق رمضان حتى في أحلك الظروف كانت مصابة بهذا الاضطراب، فكلهن كن في كامل قواهن العقلية... ولكن شخصية طارق على كل حال هي قريبة الشبه أو الوجه الأخر للعملة من شخصية رأفت مبخوت وهذا ما تريد لارين حشمت إبرازه من خلال الفيلم، وكثيرا ما طلبت من إسحق خفاجة المخرج ذلك، فألفت مشهور تقلقلت بها الأيام جراء قيامها بقراءة مجموعة من الكتب التي بدأت بنبذة مختصرة من بريد الجمعة الذي كان ينشر في جريدة الأهرام وتم تجميع بعض منه في كتاب لعبد الوهاب مطاوع اسمه «وقت

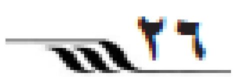




للسعادة ووقت للبكاء»، ثم تبعه مجموعة قراءات لأنيس منصور ومصطفى محمود كـ«الأحلام» و«زيارة للجنة والنار»، لكن ما هالها وجعلها تنحدر إلى ما صارت إليه من المخاطرة بسمعتها هو كتاب «اعترافات عشاق» للكاتب المذكور، فلقد ارتاعت هلعا ورعبا من القصص التي يتضمنها وكان ذلك وكأن الغدر والتغرير ركيزة لاستمرار الحياة وهذا ما جرفها لوعكة من فقدان الذاكرة التفارقي وجعلها في المدينة مدارا للحديث وعرضة لطابع التلاسن الحاد والقارص....

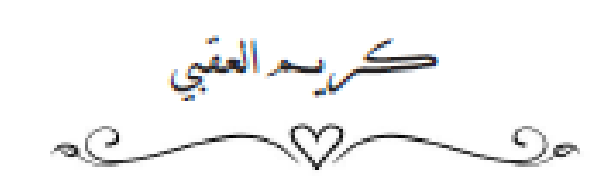
***

ولقد انتظم ممدوح عبد الفضيل عزت في الخدمة، وكون علاقات متشعبة مع باقي المجندين،





وصار مضربا للمثل في الوطنية والتفاني تجاه الوطن وأبناؤه، كما أن الزملاء قد احتفوا بزوال الخصومة بينه وبين العريف الذي عاد لمكانته المعهودة كنبطشي، وذات يوم استيقظ ممدوح على خطى النبطشي كما استيقظ أول يوم له في الخدمة، لكن هذه المرة كان يزف إليه الخبر السعيد بعلاوة في مرتبه على هيئة منحة من قائد المعسكر والذي استحدث طريقة جديرة بالنظر بعين الاعتبار وهو أن يتم اقتطاع مبلغ من مرتبه يجعل بعض الجنود لهم أفضلية في نيل مرتب وكأن الشهر المالي يتساوى نسبيا مع المبلغ الذي كانوا ليتقاضوه لو أن السنة أربعة عشر شهرا، وقد عم الفرح والحبور أرجاء الثكنة نظير ذلك، ولقد قام ممدوح بالتعقيب بتحية





إكبار قائلا: «ما ضاع حق وراءه مطالب، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم»، لكن أحدا لم يدرك أن هذه المقولة لها إشارة ذات مغزى إلا بعد مضي ما يربو على أكثر من عامين ونصف العام، وذلك ما سيشتمله قادم مضمون الفيلم الذي أخذت أحداثه في التسارع، فمثلا في جلسة من جلسات النميمة التي يعقدها الجنود في أوقات الفراغ لتزجية الوقت والتي يتخللها تناول المشروبات الغازية والشاي والقهوة وأنواع التسالي كاللب والترمس وخلافه ألقى ممدوح إليهم بسؤال اشرأبت له الأعناق ودار هذا السؤال حول دور المؤسسة العسكرية في التنشئة السياسية، لكن أحدا لم يتمكن من استيفاء الإجابة بكاملها، وذلك مما عزز من صدارته



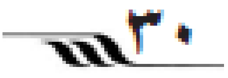

للمشهد، ولقد اعتاد الجنود على مثل هكذا أمسية يقود فيها ممدوح دفة الحوار تاركا لهم مطلق الحرية في تجاذب أطراف الحديث حول ما يرومه من صقل للملكات الإبداعية الخلاقة لدي الجنود، فهذا دوره كشخص يعتبر نفسه من زمرة الملقبين بالمثقفين واسعي الاطلاع الذين يعانون أيما معاناة في عصر البترودولار وزمن الأجوبة الجاهزة وثقافة القطيع، ولكن في أغلب ظنه أن محاولاته ستبوء بالفشل الذريع مما يجعله يردد المرة تلو الأخرى: «وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر» وذلك البدر كان منهل للإلهام لديه وهي خطيبته يمنى فاضل التي أكدت عليه أن يحفظ الود ويوطد علاقاته بزملائه لشدة إيمانها بالحديث الشريف: «عليكم بالجماعة، فإنما



يأكل الذئب من الغنم القاصية»، ولقد رأينا ممدوح متمسكا بهذه النصيحة التي يعدها عروة وثقى بينه وبين خطيبته لا انفصام لها...

ولقد تعرف إلى يمنى خلال تلقيه التدريب العملي في إحدى الوحدات الصحية بقرية تابعة لمدينة كراكلا حيث كانت يمنى آتية ضمن فوج من عمال التراحيل في أثناء مبادرة مئة مليون صحة، وبتوقيع الكشف الطبي عليها تبين خلوها من جميع الامراض الغير سارية مما جعله يركن إليها من فرط الحب واللهفة ناثرا الكلمات كالتالي:

«إليك! يا من أكابد فيك الشوق والشوق فاضح، يا من دفعت بيدي لأن يقال فيّ إنسان طامح، بعين الملامة ترينني ولكن قلبك للرضا جانح، أي بني!






هكذا أبتغاها أمك ليقال فيك ابن صالح»..... وبالطبع هو لا يرى مثل هكذا كلمات كفيلة لأن تتهاوى في غرامه، فلقد كان من الضروري أن يغدق عليها بكل بذخ وجزيل العطاء والهبات بما كان له مفعول السحر ليحتل أعلى مرتبة بقلبها... وهذا ما أرادت لارين ومن قبلها إسحاق التركيز عليه ضمن أحداث الفيلم التي ستأتي تباعا... فمثلا لو نظرنا إلى يمنى سنجدها آتية من طائفة اجتماعية يجتاحها العوز والحاجة والافتقار إلى الدخل أو الموارد، مما يجعل من التقاءهما وكأنه أمر فيه من الإتيان بالغريب غير المأنوس، وذلك يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة على رأسها ذلك السؤال الذي يقول: «يا هل ترى إلى أي مدى ستستمر هذه العلاقة؟ أو





ما الذي قد تسفر عنه إذا شرع الباب على مصراعيه لممدوح في التمتع بفترة خطوبته من يمنى وهو الذي يقاسي خلو ذات اليد بعدما أناخ عليه البؤس بكلكله؟؟» فهو الذي كثيرا ما حدثته نفسه بأنها ـ أي يمنى ـ الأكثر ملاءمة لإمكاناته بما يجعلها جديرة لأن يسبغ عليها لقب شريكة العمر من المهد إلى اللحد، وذلك من عظيم فضل الله وكرمه مما يجعله يشع ابتهاجا كما يمور في باطن أمره...

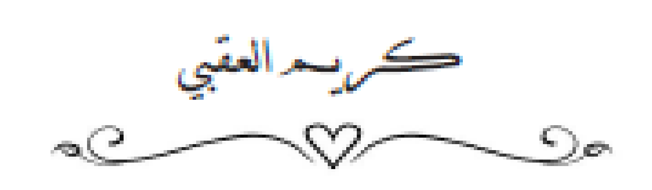
***

فكما هو معروف عنه أنه وفي مستهل ما يتطلع إليه خلال فترة تجنيده أن يستبق الصراط في كتابة رواية ذات جدوى تاريخية واجتماعية وقد وطن العزم على تسميتها «البيدق الذهبي»، وكان أمامه من أجل اجتياز



هذا المأزق عدة خيارات، ولقد اختار أصعبها، فهذه الرواية التي اختمرت بذهنه تحتاج إلى تمويل من أجل طبعها، وكيف ذلك وهو في الخدمة العسكرية؟ فلقد قبل التحدي بالمخاطرة بكتابة رواية عن الوضع السياسي المتفاقم حول العالم، والذي يجعل العالم كرة ملتهبة من أجل إعادة تصحيح المسار التنموي وخاصة قضايا المناخ كأحد بنود اتفاقيات التنمية المستدامة لحفظ حق الأجيال القادمة في الحياة، وبدأت الرواية بجملة لأحد السكان الأصليين في الإكوادور حيث غابات الأمازون المطيرة، وهو ناقم على شركة البترول المقامة مؤخرا على مساحة تقدر بأكثر من الهكتار، مما يعني الحيد عن جادة الصواب التي توارثها الأسلاف من قاطني أدغال



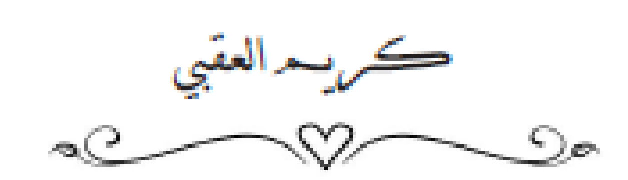


الأمازون، وظل السؤال الذي يبحث الجميع عن إجابته التي ليست على مبعدة: لمن ستكون الغلبة وترجيح الكفة؟؟ بالطبع ستكون لصاحب رأس المال... وهناك سؤال آخر وهو: ما الذي جعل هذه الفكرة تجول بخاطر ممدوح؟ والإجابة هنا تحتاج إلى عدة صفحات للإلمام بجوانبها... فهذا هو الملياردير الأمريكي الذي أتى للاستثمار يعرب عن قلقه البالغ من المعارضة التي يركب هولها من السكان الأصليين... فهذا العجوز الفاني الذي سبق الإشارة إليه أخذ يتضرع إلى السماء من أجل أن يحل غضبها على أولئك المغتصبين الذين انتهكوا العادات والتقاليد مما يفضي ويجعل من الضروري الفتك بهم لدفع غائلة الموت عن أبناء القبيلة....



وحين جاء موعد إجازته الشهرية زار ممدوح خطيبته، وشاورها في أمر الرواية التي لم تحبذها، لأن ذلك قد يرهقه أثناء الخدمة ويجلب إليه المتاعب والصعاب من قادته والمحيطين به... ويحيل بينه وبين ما حققه من مكاسب أثناء الخدمة... ولقد ألقى السمع فاستنام وتطامن إلى رأيها بكل خضوع، هذا الرأي الذي اتسم بنبرة تحذيرية بأن أمر ما جرى مع دورية الأمن الحربي خلال جولتهم التفقدية على طول الساحل ليس منه ببعيد، مما جعله يعود من إجازته وهو لا يلوي على شيء لكونه وبكل أريحية في أوج النشاط وصفاء الذهن بما إنه آنذاك لم يتم اقتياده إلى جهة غير معلومة...

***





ولكن ما هو أمر دورية الأمن الحربي التي كانت ليست منه ببيعد؟؟ فحينما هم ممدوح بالخروج من المعسكر قرر قطع المسافة إلى بيته سيرا على الأقدام، وكان بالثياب المدنية، فاعترضته دورية الأمن الحربي، وأخذوا في تفتيش حقيبته التي سأمت من هذا الإجراء الذي يتخذ سمت المنحنى التكراري مع كل مرة يدخل فيها المعسكر أو يخرج منه، لكن هذه المرة كان مع الأمن الحربي وهو الجهة الأكثر انضباطا داخل المؤسسة العسكرية، حيث تكون المساءلة والنهوض بها على قدم وساق... ولكنه واجه الضابط المتصلب برأيه بكل رباطة جأش، هذا الضابط الذي وجه إليه أصابع الاتهام بأنه قد قام بالتهرب من الخدمة العسكرية،



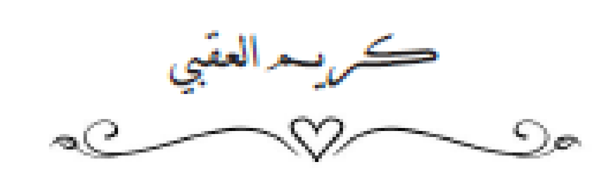

أو أنه يمكث بمكانه على الساحل في انتظار قارب من قوارب الهجرة غير الشرعية، مما حدا به لأن يتذكر رأفت مبخوت والذي كثيرا ما عرض عليه مثل هكذا مطلب خلال دراسته في المعهد الصحي ولقد كاد أن يكون رهن إشارته في الاستجابة إلا أنه تنصل إلى الضابط من مثل هكذا نقيصة، متعللا بما في حوزته من أوراق ثبوتية أميرية، وهذا ما جعل الضابط يطمئن إلى صدقه ويسمح بإطلاق سراحه بعد أن نجح في اختبار جس النبض لثباته الانفعالي إذا ما صار يوما ضمن المشاركين في تطعيم المعركة أو التمهيد النيراني... ومن بعدها ترسخت في داخله فكرة أنه البيدق الذهبي المشار إليه في الرواية التي ينتوي البدء في كتابتها وذلك دون أن يخامره أي



شك في كونه المعني للفوز بهذا اللقب... مما سول له أن يتبادر إلى ذهنه حزمة من أحلام اليقظة التي كثيرا ما عززها فيما بعد تطبيق الميتافيرس الذي يساعد في أن ينطوي من العمر أكثره دون أي تجشم للعناء يذكر وهذا هو المبتغى وما تعقد عليه الآمال التي كثيرا ما راودته في أن تتهلل أساريره بأن يصبح من أصحاب الأملاك والأطيان الواقعة ضمن نطاق كراكلا ونواحيها، فهذا الحلم كثيرا ما أفضى بسره إلى خطيبته يمنى، مما جعلها تبذل قصارى جهدها حاشدة لتعظيم مكانتها لديه والضرب بيد من حديد على كل من يحاول التلاعب بأواصر الحب وعهد الوصال بينهما، هي التي تدعو له دوما وبكل لهفة حينما يبدأ في تحضير مستلزمات الجندية من أجل




العودة للمعسكر ببيت الشعر القائل: «قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا»... لكنها كانت تشعر بأنه يخفي عنها شيء ما... وأمر ذلك الشيء كالتالي؛ فذات يوم وبعدما استيقظ ممدوح أخذ يتصفح هاتفه الذكي، فوجد رسالة من امرأة تدعي أنها برتبة جنرال في الجيش الأمريكي الذي يقوم ببعض العمليات في أفغانستان، وأنها تطلب منه رقم حسابه في البنك لتقوم بتحويل بعض الأموال من أفغانستان إليه نظرا للأخطار المحدقة بها من كل جانب، فمن هنا داعش، ومن هناك القاعدة، بالإضافة إلى الطبيعة الجبلية الوعرة من حولها، فأجابها بدوره وأخذ في مجاراتها في الكلام للوقوف على معنى له، مما يعني أنه قناته بدأت تلين لها، وإن كاد المريب أن

يقول خذوني، فاعتبر نفسه يخوض معها غمار حربا ضروسا شعواء من أجل حلحلة أغراضها وتطلعاتها التي يكتنفها الغموض مما يجعله ينصرف إلى حالة من الاستياء التي تسربت إليه دونما نزول على رغبتها أو تضافر للعمل من أجل تحقيق أهدافها كمعاملة بالمثل لإيمانها كنصرانية بقول الرب في العهد القديم ـ سفر إشعياء: «شددوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها»...

❋❋❋

وكيف له أن يحقق أهدافها وهي كأمريكية من ضمن المتورطين فيما يطمح إلى تبيانه من خلال روايته «البيدق الذهبي»؟؟ وكسالف الذكر بأنه يعتقد كونه البيدق الذهبي، وقد واتته الفرصة على



طبق من ذهب لاستعراض معارفه حول فن الرواية الأدبي، فلقد انطلق معها في وصلة من الجدال والنقاش وكل ذلك مستعينا بالأدلة الدامغة أن الأمريكان هم السبب فيما يحل بالأرض من خراب وبوار، لتهالكهم على منابع النفط والاستحواذ على خيرات الشعوب الفقيرة المغلوبة على أمرها وذلك في صورة مقنعة من الاستعمار البائد...

لكن كل ذلك لم يشغلها على الإطلاق، فلقد أعربت له أن ما تزمع تحقيقه هو مطلب إنساني قبل أن يكون مطلب سياسي أو من ورائه رغبة حكومية، فهي امرأة أرملة وجدت نفسها في مهمة رسمية لمكافحة الإرهاب الذي تعددت صوره، وهو هنا له طابع ديني وقبلي، ولقد راح زوجها ضحية لأسماك



القرش بينما هي تريد منه كشخص ناضج وأمين أن يحتفظ بالمال الذي ستقوم بإيداعه في حسابه من أجل أطفالها، ولكنه باغتها بالرد الفاصل القاطع بأن ذلك يعتبر غسيل أموال وهو نشاط مخالف للقانون في وطنه، فأرسلت له صورا ضوئية لأحقيتها في المبالغ التي ستقوم بتحويلها، وقد قلنا بأنه قناته كانت تلين لها مع ترديدها لبعض العبارات، لكنه أبدا لن يستسلم، فهذه فرصة مناسبة وسانحة عليه اغتنامها بكل وسيلة ممكنة أو غير ممكنة مهما تطلب الأمر، فلقد تصدى لها منفردا دون أن يسمح لخطيبته بالاطلاع عما يدوره بينه وبين هذه المرأة الأمريكية التي كانت تدعي هيلانة باردال، التي أعجب باسمها وانطلق معها في تنظير سياسي بينما هي تستجديه

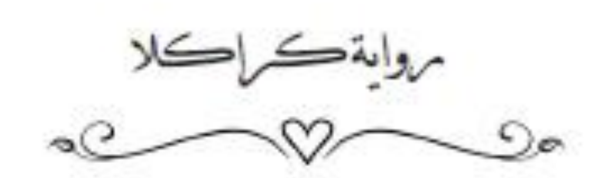



باسم الإنسانية والمروءة العربية، ولكنه أعرب لها عن حالة من الارتياب تختلج بدخيلة نفسه، إذ كيف هي تطالبه باسم المروءة العربية بينما كل ما يحاول الأمريكان فعله هو اجتثاث مثل هذه الخصال الحميدة التي هي من مكارم الأخلاق التي هي في صميم ما يتمتع به الوطن العربي من بنية تحتية مذهلة؟؟ مما أنبت لديه بذور الشك التي كانت مستترة بداخله دونما أي مسعى لاندثار أو مجرد انصراف لأي شأن آخر... وذلك بعد أن بالغت في عرضها الذي يصبح من خلاله في مأمن من نوائب الزمان ومصائبه المادية، لكنه أبدا لم يرضخ لمطالبها، فهو البيدق الذهبي الذي لا مثيل له في الأنفة والكبرياء، فأخبرته أن تلك أمور لا تجدي نفعا في هذا الزمان الذي

تغلب فيه لغة المال، لكنه أبدا لم يعر انتباها لرأيها، وإن كان في داخله نوع من الشفقة لحالها والمواساة لذاته بأن قد استطاع الفرار من الأذي الأمريكي الذي طالت يداه الأثيمة الكثير من أبناء الأوطان العربية... وذلك يصب في مصلحته الشخصية على كل حال كشخص يرى أن أكثر لقب يليق به فعلا هو «البيدق الذهبي»...

***

عاد ممدوح إلى وحدته العسكرية وهو عاقد العزم على إخبار خطيبته بأمر هذه المرأة الأمريكية، لكن حال خطيبته قد ينقلب رأسا على عقب إذا ما أخبرها، وهي التي تتوجس خيفة من كل ما قد

يتسبب في إلحاق الضرر به خاصة الضرر النفسي... وهنا قرر الذهاب إلى العريف النبطشي، ليحكي له أمر إجازته...

في البداية سأله العريف عن أحوال المدينة التي يتحرق شوقا لمغادرتها بشهادة تأديته للخدمة العسكرية، ولكن ممدوح قرر المضي في حديث من نوع آخر؛ فلقد سأل العريف: «أتتذكر جريمة القتل التي أخبرتك عنها يوم كان القائد هنا؟» فرد العريف بالإيجاب، فقال ممدوح: «إن أمر التحقيق فيها مازال جاريا بعدما قيدت ضد مجهول، لكن أهل القتيل أبدا لن يسمحوا للقاتل بالهروب مهما كلفهم الأمر، فلقد كان القتيل ـ أي رأفت مبخوت ـ بالنسبة إليهم





كبيضة القبان»، فسأله العريف: «والله يا أخي أمورك عجيبة وألفاظك أعجب، ما هي بيضة القبان تلك؟»، فعاجله بالرد: «لنذهب أولا لتناول العشاء وتدخين سيجارتين في عجالة ونستكمل باقي الحديث»....

وبعد تناول العشاء، عادا لحديثهما الشيق، فقال ممدوح للعريف: «على ما أظن أخي العريف أن بيضة القبان هي إشارة إلى شخص يعتبر ضمن زمرة الأخيار وذوي المكانة ضمن جماعة ما وهي في الأصل تعني الموضع الذي يتصالب عليه أطراف الميزان.. وكما قلت لك أنه حسنا فعل القاتل بأن خلصنا من شرور هذا المخلوق الذي عاث في الأرض الفساد... وفي انتظار التخلص من كل من



هم على شاكلته القذرة»... فرد العريف: «يا أخ ممدوح ألا ترى أنك متحامل عليه، ففي النهاية هو عند علام الغيوب، وقد يكون قد أناب إلى ربه، لكن لماذا لم توجه التهمة إلى زوج الضحية أو أحد من أقاربها؟»، فرد ممدوح قائلا: «أتقصد ألفت مشهور؟ إن ما تم اتخاذه من إجراءات ضدها من أهلها أن نعتوها بالخبل نتيجة لانغماسها في هواية القراءة، لكنهم أناس مسالمون، وقاموا بعزلها في المنزل، بل يقال إنها تخرج من المنزل منتقبة بعد أن كانت امرأة متحررة ترتدي الثياب التي تصف وتكشف دون أن تشف وهذا ربما مما يحسب لها، طابت ليلتك وأحلام سعيدة»...

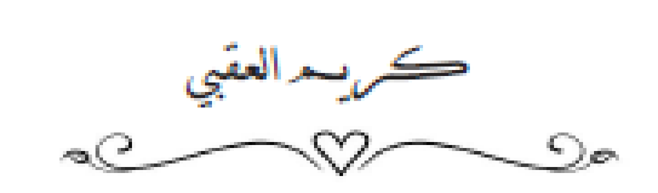
***



في تلك الليلة جاء العجوز الإكوادوري إلى ممدوح في المنام، وسأله: «من الواضح أنك قد اكتفيت بما قد قمت به مع المرأة الأمريكية، لكن ماذا عنا نحن أهل الغابة الذين نعتبرك فرد منا؟»، فانزعج ممدوح لهذا الحلم، وقام من فوره بكتابة بضع صفحات من الرواية، ثم استغرق في نومه مرة أخرى وهو مبلبل الفكر تجاه هذا الرجل العجوز الذي يتلاعب به في الأحلام وعلى صفحات الورق، إذ ربما قد يكون هذا العجوز هو البيدق الذهبي الحقيقي لا الجندي مقاتل ممدوح عبد الفضيل عزت، الفقير إلى الله والساعي للعيش في الحقيقة، ولم تأت صفحاته التي قام بكتابتها بأي جديد إذ




استغرق في مناهضة التطلعات الأمريكية في المناطق الغنية بالثروات الطبيعية سواء فوق الأرض أو في جوف باطنها، مع التنديد بسيطرة قلة منحرفة من أصحاب المليارات الذين يقومون بإرغام أصحاب هذه الثروات الحقيقيين على التخلي عن ممتلكاتهم وحق أجيالهم القادمة مقابل مجموعة من الخدمات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكنه رأي أن كلماته لم تجيء بالقوة الكافية كتلك التي يخاطبه بها العجوز الإكوادوري في منامه، فتمنى أن يقابله مرة أخرى في الحلم لكي يواجهه بحقيقة أمره، وهو أن هذا العجوز الإكوادوري وإن كان شخصية خيالية كيف يأتي بهذه العبارات الرنانة التي تفحم الدخلاء




الأمريكان الذين هم في أجسام البغال وعقول العصافير؟؟ ولكن ممدوح حين يحاول كتابتها كما جاءت على لسان العجوز لا يستطيع مما يجلب إليه الدهشة، فيستمر في استنباط معناها، ويدونها بلغة سليمة ولكن بأسلوب هو في الواقع ركيك أكثر من هذا الأسلوب الذي أكتب به هذه الرواية التي أرى أنه لا داع من إكمالها، ولكن ماذا أفعل مع هذا الداء الذي لا فكاك منه إلا بالكتابة حتى ولو كانت على هذا الوجه المخيب للآمال... لكني سأستمر ليس لأي غرض سوى إثبات نفسي الحالية أمام ذاتي التي ذهبت مع ريح فيها صر ولم تعد، ولكن هناك أمل في عودتها يوما ما، فهذه الذات القديمة تتراقص أمامي

من حين إلى آخر وتداعب قذالي في بعض الأحايين الأخرى هامسة في أذني مشجعة وإن كانت بمزيج من التحفز والإحباط: «فلتبقى على ما أنت عليه، فأنت وإن كنت لم تزل في غمرة اندفاعك اللاهب لم تكد تقطع ربما إلا شوطا - وإن جاز القول ـ قد انجاب منه القدر اليسير من ضمن عدة مراحل عليك اجتيازها للفوز بما تطمح به، وضع نصب عينيك قوله جل في علاه: وكل شيء عنده بمقدار، فإذ ربما تكون أنت حالة الفصام التي تحدث عنها الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي ضمن منشوراته العلمية على موقعه الشخصي على الشبكة العنكبوتية وأسماها: الفصامي الذي علمنا الفصام ولم ينفصم أي إنه قد



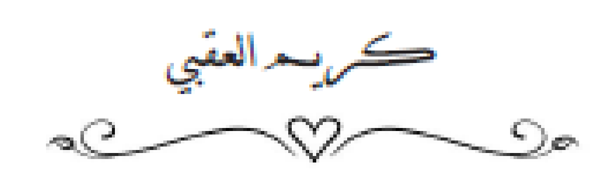

يزايلك السقم وكما قالوا في الأمثال الجماهيرية: النذل يوعد ويوفي والكريم يوعد ويخلف كمرحلة من مراحل الحل والترحال يسمونها المنقلة، أو كما كان الوضع في كلية الطب حيث إن عدد أقسامها سواء الأكاديمية أو الإكلينيكية يساوي ثلاثة وثلاثين وهو نفس عدد درجات الماسونية وكذلك عدد فقرات السلسلة العظمية للإنسان»...





الأثر يدل على المسير

فلا نامت أعين الجبناء، فبعد أن انتهى ممدوح من روايته «البيدق الذهبي» دون أن ينشرها لظروف قهرية ولكن بأن ظعن الأمريكان عن الأدغال أخذ على عاتقه كتابة رواية أخرى باسم «قشلاق بلودان»، وهي عن مطعم سوري شهير في الإسكندرية استفاض القوم في مناقشة أسباب إغلاقه.... والذي كان يعمل به أحد أخوة رندة يعقوب زوجة عماد نصار الذي أعمى عن أي شيء عداها وهو أحد شخصيات رواية كارجو التى افتتح بها المؤلف أعماله الأدبية حيث بدأت جامحة وانتهت ذابحة بتصاعد نجمه رغم أن

حبر قلمه قد انساب فيها بالتساوي فهي كضربة في الرمل طائشة وأخرى في السحب...

هذه الرواية اعتمد فيها ممدوح تقنية التناص النقدية، وخاصة فيما يتعلق برواية «ظل الأفعي» للدكتور الأديب يوسف زيدان أو رواية «سرد أحداث موت معلن» لجابرييل جارسيا ماركيز المنشورة عن مكتبة مدبولي بالقاهرة... حيث الحديث عن بنيوية العلاقة بين الروح والجسد، وقد ارتدي الكاتب قفاز الإجادة في هذه الرواية التي بدأت بمشهد خارجي في هوادي الليل فيه شاب يسعى على رزقه ورزق أولاده فيقوم أحدهم بالاستخفاف به دون سابق معرفة به، بلا أي أدنى إحساس بالمسئولية فيحدث لدى هذا الشاب نوع من الاستنفار مما يسفر عن




توافد جمع من الناس يقولون له: «إذا كان كل يغني على ليلاه، إلا أن هذه الليلة ستجعلك تقول: ألا ليت الشباب يعود يوما لأخبره بما فعل المشيب»...

ومن هنا قد يعود ذلك الشاب بالذاكرة بعدما يبلغ أقصى الهرم إلى ذلك اليوم ليحكي عنه لأولاده... فلقد انغمس ممدوح عبد الفضيل عزت في روايته الجديدة «قشلاق بلودان» حيث إن السبل قد تقطعت ببطل الرواية وكذلك بكاتبها الذي تمكنت منه الانهزامية فأصر على كل حال أن يكمل الرواية مهما كانت العواقب... فكلمة قشلاق تعني الثكنة العسكرية التي يتأهب أفرادها، وبلودان رمز للنخوة العربية كما طلبت منه المرأة الضابط في الجيش الأمريكي، ولقد اختار هذا الاسم بناء على



هاجس بداخله من تنامي أحداث العنف في المحيط الإقليمي بعد ثورات الربيع العربي، وما تتبع ذلك من تصعيد دموي بالسلاح المتفلت، رغم أنه كثيرا ما أعلنت جماعات الجهاد التراجع عن أفكارها بعقد عدة مراجعات فقهية إلا أن الأمر مازال ساريا ومازالت الحكومات تبذل قصارى جهدها لإحباط مخططات العنف والدمار التي تنال من فلذات أكبادنا وخيرة شبابنا الحائرين في دوامات التدين ومتاهات الوهم...

***

تدرج ممدوح عبد الفضيل عزت في عرض أفكاره عبر ذلك العمل الروائي مما جلب إليه لقب البيدق الذهبي عن جدارة واستحقاق كما قلنا برصد




لقدراته في مختلف البقاع... فهو أحد أبرز الداعمين للحلول السلمية لمختلف القضايا المطروحة على الساحة العربية نظرا لما اعتاد عليه خلال خدمته العسكرية بأن العنف لا يأتي إلا بمزيد من العنف، مما جعله يتغاضى عن كثير من العوامل التي تحمل على الغضب والهياج... بما يستثير النعرات الحزبية أو الطائفية ونحو ذلك مما يعجل بفقدان ما خف حمله وغلا ثمنه كما قالوا في الأمثال العربية حينما يقال بأن الناس أوقدوا الشر بينهم كتنازع الفعلين في اصطلاح النحويين... حيث القول بوجود تساؤل هل يتم إعمال الفعل الأول أو الثاني؟ بالطبع سيكون في ذلك مدعاة للفخر إذا ما تم التوصل إلى أجابة شافية وافية لهذا السؤال الشائع في أوساط اللغويين... فكل

ذلك مقدمة لما ينتوي ممدوح الإقدام عليه خلال روايته كدمج عنصري لما بين السطور... فهذا أمر في غاية الخطورة لدي ممدوح الذي يسعي للتصالح مع ذاته ولكن هل ذلك بمقدوره حقا؟ أم أنه يتغافل عنه دونما تأنيب أو إنكار للذات؟؟ لكنه كثيرا ما يتجاهل الرد خاصة مع أن مقدار إيمانه يتحدد بإطار فلسفي مفاده المعاملة بالمثل أو أنه بالضد تتضح الأشياء كما سيرغد ويزبد عبر الأشهر القليلة القادمة والتي سينكب فيها على كتابة هذه الرواية... فهو يسعى من خلالها بطموح لا يشيخ وعزم لا يلين لنيل أعلى مكانة يمكن من خلالها امتلاك ناصية الأدب والكتابة والإعلام المسموع منه والمرئي... ولكن يبقى السؤال وهو هل بمقدوره في حقيقة الأمر ذلك




أم أن ذلك مجرد أمر عار من الصحة وغير صحيح بالمرة؟؟؟

وفي لحظة تطلع هذا الشاب البطل لصورته في المرآة فوجد بعض من الشعر الأبيض في فوديه، فتبادر إلى ذهنه ذلك البيت الذي بشر به في ساعة تعثره فقال لنفسه: «ها أنا لم اجتز بعد العقد الرابع وقد غمرني المشيب الذي ليس ذاك وقته ولا أوانه، فكيف يكون التصرف فيما هو قادم من عقود العمر المديد بعون الرزاق ذي القوة المتين»، ثم تهادى في مشيته وانصرف إلى حال سبيله كما بشره أحدهم يغني على ليلاه، فهو فتى قد أضاعوه، وأي فتى أضاعوا؟؟؟

❊❊❊




فها أنا ممدوح عبد الفضيل عزت أطرح عليكم سؤالي وفيه نوع من النزق وهو: لماذا تباغتنا السعادة ثم في جزء من الثانية تتخلى عنا وكأن بيننا وبينها حواجز من توقع الكراهية؟؟ ولكن ما من إجابة تقيم الدليل بما يشفي الغليل إلا في أحلامنا المتناثرة هنا وهناك ما بين قارعة الطريق ومخدع الزوجية المقدس حيث الاتكاء على الماضي المباشر والانعطاف إلى المستقبل الوشيك كما قال الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون في تفسيره لمبدأ الديمومة كقالب تطبيقي لتيار الوعي أو الشعور الذي هو إنفاذ لمعنى الآية القرآنية «ثم السبيل يسره»، فهذا السبيل يبدأ منذ اللحظة التي يخرج فيها الإنسان من بطن أمه إلى اللحظة التي يواري

فيها الثرى والذي قد يرتقي من خلاله إلى كتلة الثريا الفلكية لتجمله بمحاسن الأخلاق في ميزان العمل الصالح والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره... بما يقطع الطريق عن الجدال العقيم الذي يسد علينا المنافذ ويحبسنا في قفص الاتهام الذي لا مناص منه إلا بالعمل ثم العمل ثم العمل بسعى دؤوب دونما أي مماطلة إو إطناب بغريب اللفظ الذي لا جدوى لأي دواء معه، فهذا أمر من الحماقة التي أعيت من يداويها، وكيف نداويك يا قلب وأنت هكذا رهن الاحتجاز مع مجموعة منقطعة النظير من أبناء بني جلدتك الذين رحلت عنهم بجسدك لكنك باق في نفوسهم حي ترزق بقدومك نحوهم ساعيا في الخير الذي يرفعون شعاره ناحيتك دوما أن كن معنا





مقبلا غير مدبر... ولكنك أيضا مازالت بهواجسك كأنثى تباعد بين فترات حملها لما فيه من وهن إلا في الكتابة التي هي أملك الوحيد في الحياة الدنيا، والتي ترجو أن يتقبلها الواحد المعبود كعمل من الأعمال التي قد تنال من خلالها الخلود في جنات ما ستسأل عنه من النعيم إذا ما صرت من أصحابه أنت وأزواجك وأضحيتم في شغل فاكهون، وعلى ذكر الفكاهة سنرى أن نجيب محفوظ قد حصل على جائزة نوبل لتمتعه بحس الدعابة عبر رواياته بخلاف طابعك السوداوي مثلك مثل الأديب المسلم الآخر الحاصل على نوبل وهو أورهان باموق، فهو مثل نجيب محفوظ الذي لم يخرج عن القاهرة إلا في ثلة من رواياته حيث إن باموق قد عبر عن روح مدينته




اسطنبول بمنتهى التمكن والأريحية ولكن نجيب محفوظ حصل عليها وهو على مشارف الثمانين من عمره بينما حصل عليها باموق وهو لم يقارب حتى الستين رغم اعترافه بتأثره بنجيب محفوظ ككاتب في إحدى مراحل رحلته المهنية مع الكتابة وأيضا مع تشابه روايته «جودت بيك وأبناؤه» مع ثلاثية القاهرة، وهذا تطبيق للمبدأ القائل بأن التلميذ قد يتفوق على أستاذه، حتى ولو لم يضع له معالم على الطريق...

❊❊❊

ولأنه إذا ما كتب لأمة العرب أن تظل كما هي كخير أمة أخرجت للناس فهذا مرده إلى اللغة العربية التي حفظها الله في كتابه العزيز، وها هو



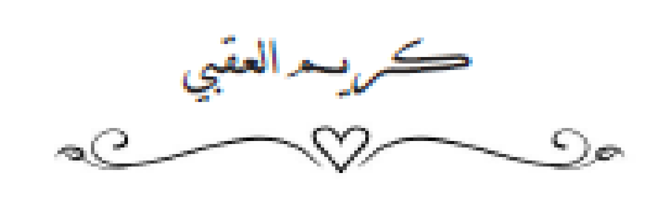

ممدوح يأخذ في المرور جيئة وذهابا عبر سطور روايته ولكن كما قلنا لا مناص من تلك الطاقة التي تحاربه كاليهود من وراء جدر، لكنه سيظل على الكتابة عاكفا حتى ينهي أحداثها وإن لم تخرج للنور الذي هو جسيم مادي له طبيعة موجية... وكثيرا ما حاول هو ركوب هذه الموجة لكنه دوما ما يجد أمامه ما يحول بينه وبينها بانحسار لمسافاتها البينية، وهذا مما جعله يمنى بفشل ذريع بعدما لفه الحزن لإخفاقه في كل محاولاته لنيل نصيبه من الدنيا التى لا تساوي عند الله جناح بعوضة، والتي يقال إنها إذ ربما التي أودت بحياة النمرود الذي ليس هو ببطل ولكنه بألف وجه...

***



وبما إن مصطلح الفساد لم يتم حتى الآن الوقوف
على تعريف جامع مانع له حيث إنه مصطلح مطاط
فلقد اعتزم ممدوح عبد الفضيل عزت في بداية حياته
على مجابهته ومكافحته لكونه نوع من أنواع التكالب
بما يمهد لحدوث قفز على السلطة التي سبق وأن
قلنا بأنها إذا ما كانت مطلقة فإنها تصبح مفسدة
مطلقة وذلك ما حدث بعد ثورة يناير التي تزامنت مع
احتفال ضباط الشرطة بعيدهم وهم الذين يجازفون
بحياتهم حتى لا يتم إفساد الأرض بعد إصلاحها،
فكيف إذا نستطيع أن ننخرط في العمل السياسي
رغم أننا لم نتجاوز بعد ذلك المأزق الذي جعل من
بلادنا عرضة وعلى بعد خطوة من الاضمحلال...
فهي ثورة كان لابد وأن نقول بأن مساوئها أكثر من





مزاياها إن كان لها من أي ميزة من الأساس، فلقد قضت على الأخضر واليابس، وعانت من جرائها الدولة من العناء كله، لكن إذا ما قدر لدولتنا الخروج من عنق الزجاجة فذلك سيكون بفضل المخلصين من أمثال ممدوح وكما أطلق على نفسه فإنه البيدق الذهبي إعمالا لما ورد على لسان مندوب الإخوان في رئاسة الجمهورية حينما قال: «نحن لدينا رجال مثل الذهب في القوات المسلحة»، رغم أنها كلمة حق يراد بها باطل وذلك عبرإعلان دستوري هو عديل للمبادئ الفوقية لدساتير الدولة المتعاقبة والتي تضمنتها وثيقة الدكتور علي السلمي... فلقد كانت بداية الصدام بين المؤسسة العسكرية والثوار بعد مضي ما يزيد عن تسعة أشهر من الثورة اعتراضا





على هذه المبادئ رغم أن الهيئة الإخوانية قد دفعت بمجنديها للتصويت بنعم على التعديلات الدستورية التي أقرها المجلس العسكري بإرادة الشعب وليس بانصياع للجماعة، وهنا نرى مدى كمية التضارب التي باغتتنا بها مندوب الإخوان منذ اللحظة الأولى له في الحكم....

ومن هنا شرع ممدوح في كتابة مقال في إحدى المواقع الإلكترونية كشخص له باع طويل في التدوين عبر الإنترنت، ولكن اتضح أن ذلك الموقع الإلكتروني هو منصة تابعة من الباطن لتنظيم الإخوان وهو ما سيدفع تكلفته ممدوح فيما بعد... فلقد عكف على كتابة مقال عنوانه: «تصبحون على وطن»، وفيه تحدث عن وجوب إقامة صلاة الخوف





بين الثوار والجيش المصري وكل من له علاقة بالثورة، سنوافيكم تباعا بنص المقال كما ورد على الموقع المشبوه على الإنترنت...

***

أوشك رصيد يمنى فاضل على النفاذ، فقامت بمهاتفة ممدوح عبر تطبيق الواتساب، ولكن أرتج عليه الرد لأنه كان يقوم بسحب عينة عشوائية لأحد الأمراض المتعلقة بالسمنة المفرطة... وقد جاءت النتائج كما توقعها وعلى أكمل وجه، إلا أنها دأبت على الرنين ظنا منها أنه لا يقوم بإيلائها أدني اهتمام حتى يقوم بالرد، وأخيرا فعل ذلك، ودار الحوار فيما بينهما كما يدور بين أي شاب وخطيبته التي يوما ما ستصير زوجته وفي عصمته بشهادة ومأذون، ولقد





حاول ممدوح أن يمنعها من الذهاب مع عمال الترّاحيل لكنها أخبرته بأن ذلك ليس من شأنه في الوقت الحالي قبل الدخول بها، ولكنها داعبها ببضعة كلمات أثلجت صدرها حول مستقبله ومستقبلها ومستقبل العلاقة فيما بينهما، ولقد طلبت منه أن يسمح لها بزيارة إحدى صديقاتها، ولقد وافق في التو واللحظة، وقامت بالزيارة التى أصبحت مضرب مثل لديه كنذير شؤم لما حكم به القضاء... فلقد راعه أن يرى خطيبته ربة الصون والعفاف أن ينتشر لها مقطع راقص ظنه مع رجل قعدد أي أنه خامل يقعد عن المكارم... ولقد تمناه أن يكون أريب مثله في أمور النكاح... ومن ثم ذهب إلى أرملة أبيها ليخبرها بذلك، فقلت له: «يا ويلتاه،



أيكون ذلك تباشير بخراب البيوت؟ لقد أنفقت عليها كل ما أملك من أجل ألا يأتي يوم مثل هذا، إنني أرملة وما كنت أتمنى بعد أن تقدم بي العمر إلى هذا السن أن يأتي يوم تندثر فيه القيم والأخلاق، يا ويلتاه... لك الله يا أخي فاضل.. لك الله يا أخي فاضل»... ولكن تصادف في تلك اللحظة أن تأتي يمنى لتخبر والدتها بوجود حرقان في بولها بعد أن شربت من منبع مياه راكدة، فقامت الأم بخمش وجهها للمصيبتين، فذهبت بها إلى المستشفى العام، وحين جاءت إليها الممرضة لتضع القسطرة البولية وجدتها عذراء فقامت بالإحجام عما هي مقدمة عليه، وطلبت حضور طبيب مسالك بولية ليقوم هو بذلك الأمر لأنه غير مسموح بتركيب القسطرة




البولية للعذارى إلا من طبيب مسالك أو طبيب نسا وتوليد... فافتر ثغر الأم بابتسامة، وأخذت تقبل ابنتها مرددة أذكار الحمد والتسبيح، ولكنها لم تجرؤ على مهاتفة ممدوح، وحين تم أمر القسطرة خرجت لتشتري قوتا لابنتها فوجدت ممدوح مارا يحث الخطى، فتحاشاها، ولكنها استوقفته وأخبرته بأمر البنية، ففاضت عيناه بالدموع وتراجع عما كما ينتوى الإقدام عليه... بالطبع سيتساءل البعض عما كان ممدوح يريد فعله؟ وسيكون ردي بأنه كان ذاهبا ليعترف في مخفر الشرطة بأنه من اغتال رأفت مبخوت، لكن الله سلم وتم التراجع في آخر لحظة، وقام باحتضان حماته، والصعود إلى الطابق الذي فيه العنبر الذي ترقد فيه حبيبة عمره وتوأم

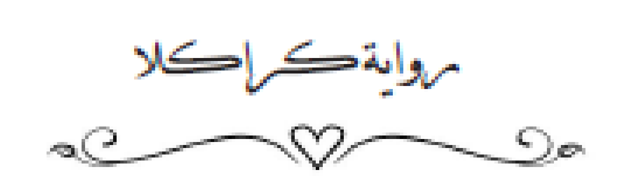


روحه.. وقد وجدها على أفضل حال، ولكن يبقى السؤال المطروح لماذا ذهب للاعتراف بالقتل؟ ذلك لأن تصميم الحجرة التي كان فيها الرقص هو نفسه التصميم الذي كان فيه ما تم بين ألفت مشهور ورأفت مبخوت، فظن أنه فيديو قديم لها مع هذا النغل الزنيم، فتبادر إلى ذهنه أن يكون هو صاحب شرف قتله طالما أن القضية قيدت ضد مجهول، ولكن ما السر وراء تشابه الديكور في المقطعين؟ ذلك ما سيتبين لنا في نهاية الأقصوصة...

***

وبما أن البعض يتحين بمنتهى الاستثارة اللحظة التي سيأتي فيها سرد المقال كاملا وهو الذي قام ممدوح بنشر إبان الفترة الانتقالية بعد ثورة يناير





فإنني سأقوم بتدوينه هنا من الذاكرة بسبب انقطاع الانترنت عن الحي الكائن فيه منزلي، ولعلي أتمكن من ذلك على الوجه الذي يروق لحضراتكم أيها القراء، وهو كالتالي:

«تصبحون على وطن...

هل إذا ما أقمنا صلاة الخوف يمكن حينها أن نقول تصبحون على وطن... إننا كمصريين قمنا بثورة شعارها عيش حرية عدالة اجتماعية، ولم يكن المطلوب أبدا إسقاط النظام إلا أن الهتافات تبدلت بعد التحاق الإسلاميين بزمرة الثوار، ولكن ذلك لم يكن ليضيف شيئا جديدا لمسيرة العمل الوطني التي تتطلب منا بذل كل غال ونفيس من أجل الوصول إلى بر الأمان، وها نحن نرى الآن دولتنا



قد أضحت مطمعا لكثير من الدول التي كنا نعتبرها شقيقة أو صديقة مثل تركيا التي قمنا بمساعدتها بعد زلازل نهاية التسعينيات، ولكننا نرى الآن أردوغان يتصرف بمنتهى العجرفة والصلف وكأن مصر صارت من جديد ولاية عثمانية وكأنه صار كذلك خليفة للمسلمين رغم أنه ليس من قريش.. فلماذا إذا نساق وراء هؤلاء الغوغاء ولا نلتف حوله مجلسنا العسكري الذي سمح لنا بإجراء استفتاء على التعديلات الدستورية، فكثيرا ما دعا الساسة الكبار للتصويت بـ«لا» حتى يتم تصحيح المسار الثوري، ولكن الإسلاميين حاقوا بنا الفناء كأننا لهم ألد الأعداء، مما سيمهد بحكم كوني مطلع على كثير من ألاعيبهم لصدام مرة أخرى بين الثوار




والإسلاميين[1]، فهم مثلا يؤمنون برسائل حسن البنا الذي كان رجلا على درجة عالية من الأخلاق لكنه ترك لأتباعه برنامج للعمل قد يقضي على الأخضر واليابس، بما يمهد للتلاعب الجهنمي بالعقول من خلال ما سماه بالوظيفة الصغرى والوظيفة الكبرى التي هي عبارة عن مجموعة آيات قرآنية وأحاديث نبوية يتخللها مجموعة من الاندماج في الدروشة عبر الاستحضار والاستشعار، فهو يقول لك استحضر روح من تعرفه من أبناء الجماعة، واستشعر روح ومكنون شخصية من لا تعرف، حيث عبر هذا الأمر سيتم جر الجماهير إلى الانضمام للجماعة حتى ولو شكليا ولكنه سيكون مدخلا للزج بالناس في

(١) ذلك ما حدث خلال ثورة الثلاثين من يونيو....



السجون والمعتقلات[1]... فالعقلية المصرية تربت على الود والوطنية والتجرد في سبيل خدمة الوطن لا خدمة الأشخاص.... إلخ»

فأنا لم أستطع ككاتب أن أستظهر المقال من ذاكرتي فالوقت لا يسعفني حتى أنتظر لحين عودة الإنترنت، ولكن الجواب يظهر من عنوانه، فلكم أن تتخيلوا باقي المقال والرؤية التي يريد ممدوح تصديرها للقارئ الذي هو على اطلاع كامل بما جرى من أحداث بعد ذلك وهي ليست منكم ببعيد...

***

ولقد أسلفت عبر ما خلا من سطور أنني سأذكر

---

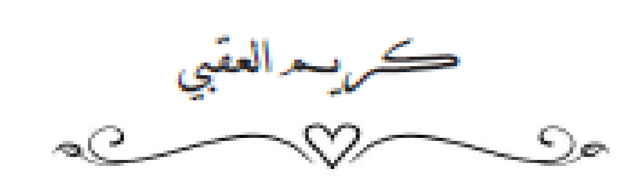
(١) نرى بعد أحداث العنف التي تلت ثورة الثلاثين من يونيو أن ذلك أمر كان مرغوبا إلى أبعد مدى...



فيما بعد السر وراء تشابه الديكور في مقطع فيديو رأفت مبخوت وفيديو اللهو البرئ ليمنى فاضل وهنا سأقوم بذلك، فلهذا قصة عليكم أن تعيروني أسماعكم لأنني سأحكيها بالتفصيل الذي قد يكون مملا...

ففي صباح شتوي كانت أم صديقة يمنى وحدها بالمنزل، فطرق رأفت الباب ثلاثا إلا أنها لم تقم بفتح الباب له، فلم يتمهل وقرر المناداة بأعلى صوته عليها وكان اسمها رتيبة سمعان وابنتها كانت في المدرسة الثانوية التجارية بينما زوجها يعمل سائق على أحد الطرق الغير معبدة وهذا الطريق واصل بين كراكلا وأحد نواحيها، بمعنى غياب أهل المنزل عداها، فاقتحم عليها خلوتها بهذه المناداة التى وضعتها في





ورطة، وقام بإغرائها بمبلغ مالي لأن تترك له الشقة لمدة ساعة وكان بصحبته ألفت مشهور، فاستجابت له المرأة أمام المبلغ المالي وهي المرأة الفقيرة التي تعاني شظف العيش هي وابنتها وزوجها، فقام رأفت بما قام به مع ألفت وأصبح الأمر طي النسيان إلى أن ظهر الفيديو بعد مدة كانت فيها يمنى على علاقة وطيدة بابنة رتيبة، وفي يوم وبعد انتهاء الامتحانات تجمعت يمنى وبعض صديقاتها في هذا البيت الذي أصبح مشبوها وهي لا تعلم بذلك وتبادلن التهاني وانتهى الأمر بمثل هكذا فيديو في نفس الحجرة التي تم فيها الفعل المشئوم بين رأفت وألفت وصارت يمنى إلى ما صارت إليه وهي لا تعلم بكل ذلك... إلى أن تعاظم الشعور لدي ممدوح بأن يقول على




نفس بأنه من قتل رأفت مبخوت حتى يزيح العار عن حبيبة عمره، ولكنها بالفعل كانت بريئة ولا تحتاج إلى من يدافع عنها، وحين أبلغتها أمها بما كان يساور ممدوح من شكوك قررت الانفصال عنه، مما جعله ينجرف إلى نوبة اكتئاب حاد دفعته لأن يستغرق في اللهو الذي هو ليس ببرئ من شرب الخمر، وتناول الأفيون والحشيش على أمل أن ينساها لكنه كان بالنسبة إليها كان وكأنه سحابة صيف سرعان ما تنمحي من كبد السماء...

***

في أول مشاركة لي في معرض الكتاب سألني المحاور عمن تأثرت بهم من كتاب وكان من ضمنهم الكاتب البيروفي ماريو بارجاس يوسا والذي اشتهر



أنه ممن يعتنقون الكتابة ضمن ما يطلق عليه مدرسة الواقعية الاجتماعية وكان من بين أعماله رواية اسمها: «البطل المتكتم»، وكثيرا ما تحدث أبطالها في خضم الأحداث أنهم يعيشون في فيلم مكسيكي وليس في واقع اجتماعي يمكن أن تمسك بأطرافه، وكثيرا ما تجاذبت الحديث مع بعض الأشخاص حين قررت الحديث معهم عن أمر هذه الرواية كراكلا بأنها تشبه فعلا في مضمون أحداثها الأفلام المكسيكية هذا إن لم نقل بأنها عبارة عن فيلم هندى قتل بحثا من حيث تفكك المحتوى وغياب الهدف من ورائه اللهم إلا التلاعب ببعض العواطف الصبيانية المترسبة في وجدان القارئ الذي لن يكون أبدا متلهفا للقراءة بقدر ما هو متلهف لعمل أدبي هو الثالث بالنسبة

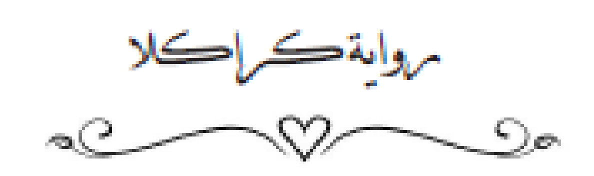



إلى أنا الكاتب الذي وكما قلت بأنه وإذا كان أحمد خالد توفيق قد جعل الشباب يقرأون فإنني سأجعل الشباب يثابرون، بمعنى أنني قد أكون متوسط الموهبة لكنني سأحاول أن أصقل هذه الموهبة حتى ولو عبر مجموعة من الروايات العبثية مثل هذه الرواية التي أحاول فيها تقليد روايات لها أسماء مثل مجموعة أشخاص يبحثون عن مؤلف وما إلى ذلك، ولكن يبقى السؤال المطروح: هل هناك أي تشابه بين شخصية ممدوح وبين أي شخص في حياتي حتى لو كان أنا؟ وأصدقكم القول بأن ممدوح مثله مثل كل أشخاص رواياتي شخصية خيالية لكنه ضد البطل من شخصية «كريم محروس» التي كانت في رواية «كارجو» حيث إن كريم محروس العقبي الذي هو

أنا هو الشخصية الحقيقية الوحيدة الحقيقية ضمن ما أقوم بكتابته، فممدوح هو نوع من الشخصيات رهيفة الحس، وهذا أمر ليس بمقدوري أن أتعايش معه في هذا العالم المتهالك، ولكن الناس لن يتعاطفوا معي ولكنه على أقل تقدير سوف يتعاطفون مع ممدوح لأنه مكتمل البراءة بينما أنا رغم ما ينتابني من لوثات عقلية صاحب ضمير ممزق بندبة أظنها لن تندمل إلا بالموت الذي هو هادم اللذات ومفرق الجماعات... وعلى الله قصد السبيل...

***

فهذا ممدوح الذي لم ينه روايته «قشلاق بلودان» التي هي ليست بمعزل عن روايته «البيدق الذهبي» المكتملة يشرع في القراءة في أدب الرعب الذي

لم يكن يستهويه من قبل بالإضافة إلى روايات مثل «آيات شيطانية» للمأفون سلمان رشدي، فكيف لممدوح ذي الذوق الأدبي الرفيع والذي كان يقرأ لمصطفى صادقي الرافعي والمنفلوطي وعباس العقاد أن ينطلق إلى قراءة روايات الأدب الإباحي الرخيص مثل رواية: «خذني بعاري»، فقد نقول أنه من المقبول أن يقرأ لألبرتو مورافيا الكاتب النسوي الوجودي الشهواني الشهير، لكن الانزلاق لهذه الروايات عجل بمأساة ممدوح الذي لم يستطع صبرا، فذهب إلى رتيبة سمعان، وأخذ يطرق الباب عليها مثلما فعل رأفت مبخوت لكن في هذه اللحظة لم يكن بصحبته أحد ربما إلا خنجر قد يغرسه في تجاويف قلبه ليتخلص من حياته كما تخلصت منه



يمنى، لكن ابنة رتيبة خرجت إليه في ثياب جعلته يرثى لحالها قبل أني يرثى لحال نفسه، فعاد على عقبيه وانطلق إلى أحد أكشاك الكتب واشترى الأعمال الكاملة لإدجار آلان بو وشارل بودلير وكافكا ولوركا، كل هذه الكلاسكيات التي تتحدث عن السوداوية والمناخ التشاؤمي الذي لا يستطيع ممدوح منه خلاصا إلا إذ ربما بالإنابة إلى الواحد القهار ـ سبحانه ـ لكن هذا أمر لم يكن ممدوح معتادا عليه أن يلقى الله وهو سكران، أو وهو يجري بداخله شيطان المخدرات كما يجري الدم في الوريد...

***

لم يفلح أحد في إخراج ممدوح من الحالة التي انتابته اللهم إلا عابر سبيل يقال له: الشوادفي، وهو

شخص قد نفرد له رواية، فهو غير الشوادفي الذي تحدث عنه خيري شلبي في روايته وكالته عطية التي تتحدث عن قاع المجتمع في دمنهور بعد ثورة يوليو، فهذا الشوادفي الذي نحن في خضم الحديث عنه هو إنسان ليس مكتمل الأهلية، لكنه وجد ممدوح مكتئبا فقال له: «يا أخ عساني تزوجت لتنزاح عني هذه الهموم الذي لا تقارن بهمومك»... فسأله ممدوح: «أين تسكن؟»، فرد الشوادفي: «في شقة تركتها لي أختي المتوفاة»، فسأله ممدوح مرة أخرى: «إذا كانت أختك متوفاة فمن يقوم على خدمتك؟»، فرد االشوادفي: «يا هذا أقول لك بأن حياتي كانت لتنقلب مائة وثمانين درجة لو أني في حياتي امرأة ثم تأتي أنت لتسأل عن الذي يخدمني؛ إنني من أخدم



نفسي، وأراك على هذا المعدل ستنتهي بك الحياة مثلي... اعطني سيجارة»، وعلى ذكر السيجارة تذكر ممدوح ما حدث مع العريف النبطشي، وما قاله للعريف من إعمال لمبدأ أنه على المتضرر اللجوء للقضاء، ولكن كيف يسترجع كرامته أمام يمنى عبر القضاء؟ فما كان بينهما هو مجرد خطبة حتى ليس من المستحل فيها أن يمسك يدها فما بالك بأن يطلبها في بيت الطاعة؟

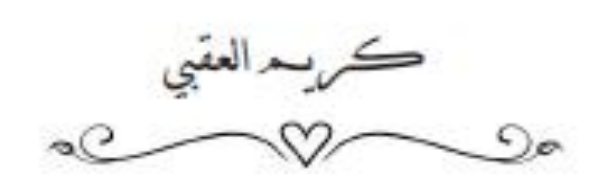
***

تأثرا بما قاله الشوداني لممدوح قرر ممدوح إعادة قراءة رواية وكالة عطية، فوجد تشابها يكاد يبلغ حد المطابقة بين حياته وحياة بطل الرواية





الذي لم نعرف له اسما، فالبطل قام بتقليد شخصية حسن البنا، وقام بجمع التبرعات لحسابه بينما سيقوم ممدوح بتقليد شخصية إخوانية أخرى هي شخصية صاحب الظلال سيد قطب، الذي كان أول من قدم نجيب محفوظ للقراء بعد عودته من البعثة في أمريكا، لكن كيف الدخول إلى عالم سيد قطب، هل بالخطبة في المساجد وتأليب الرأي العام ضد الدولة بالقول بأن مدارسها خالية من القرآن والسنة أم بخوض غمار العمل السياسي وترديد بيت الشعر القائل: «مساجدنا ثكناتنا، قبابنا خوذاتنا، مآذننا حرابنا، جيش المصلين يحرس ديننا»، وذلك أيضا لا يجدي نفعا مع الشعب المصري الذي هو على

دراية بما تحمله هذه الكلمات الطائفية في مجتمع متماسك، إذا ما الحل؟

لقد كتب ممدوح مقالا يتحدث فيه عن النزعة الطائفية لدي الإخوان ولكن ما الذي جعله ينقلب هكذا على ذاته، إنه التأذي من الأفعال التي ليس له فيها أي يد لكنه منها لا يجد أي مفر أو بد... وبما إنه لم يجد في شخصية سيد قطب أي مدخل للاستمتاع بالحياة، قرر الانضباط في إحدى التنظيمات اليسارية وأخذ في قراءة كتب سيد القمني وعلى رأسها كتاب: «حروب دولة الرسول»، فوجد أن سيد القمني لا يختلف عن سيد قطب وإن كانا على طرفي نقيض، فكلها كتابات جوفاء لا تقدم

ولا تؤخر بل تثير البلبلة في العقول... وتزيل ما هو راسخ في وجدانه من أنه أمام الله مسئول... كل ذلك وهو يظن نفسه بعيدا عن أعين الرقيب، فلقد راع الشخص المنوط به مراقبته أن يجده متنقلا هكذا من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وذلك لأنه كان قدوة حسنة ولكنه أضحى شخصا غير ذي صفة مما جعل من الضروري الضرب على يده حتى يعود إلى جادة الصواب ولكن كيف تم ذلك؟...

***

إن العريف النبطشي كان قد انتظم في الخدمة العسكرية بالتطوع في الجيش المصري، وكان يراقب ممدوح عن كثب ربما لإعجاب خفي بشخصيته،



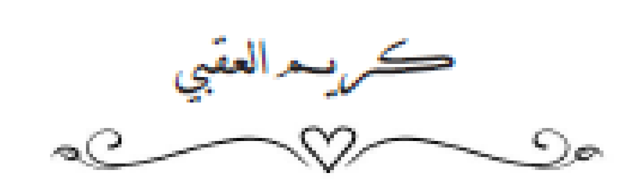


لكن ما جرى لممدوح جراء انفصاله عن يمنى استدر عطف النبطشي على ممدوح، وخشى أن يتم خضوع ممدوح للكشف عن سلامة قواه العقلية، فاسترسل في الحديث إلى أحد الضباط الذي أمر النبطشي بأن يستجمع قواه ويرسل إلى ممدوح هذه الرسالة التي سنختتم بها هذه الراوية:

«قرأت مقالك تصبحون على وطن يا ممدوح، وأرى أنك قد أعطيت للوطن حقه، لكن لماذا شعورك هكذا بالهوان، فأنت كنت تخشى أن يتم الزج بالمواطنين الشرفاء في السجون، لكنك على علم اليقين بأنه لا يتم الزج إلا بالمذنبين، فهل أنت مذنب؟ بالطبع أنت مقتنع بأنك غير مذنب، لكن




حالة الخنوع التي تخالجك قد تدفعك إلى ما لا يحمد عقباه؛ بمعنى أنك في مرحلة خطر من يأسك من الحياة، فأنت وإن كنت في حالة هيام بيمنى إلا أنك كنت تراوغها، ولم تكن صريحا معها منذ البداية، فأكثر ما يقوي الحب هو المواجهة، فكان عليك قبل أن تذهب إلى أمها أن تواجهها بما يعتمل في صدرك، وليس أن تلقي التهم هكذا جزافا أيها البيدق الذي، ولقد قررت أنا القائد بما أنني قمت باستقطاع مبلغ من مرتبي كمنحة لك أن أتوسط لك لنشر روايتك ضمن منشورات هيئة قصور الثقافة ليس من مبدأ المحاباة، ولكن لأنك جدير بذلك، فما صرفته على المخدرات كان يكفي لأن تنشر أكثر من ثلاث روايات وليس رواية واحدة، واختم

بسجع نثري يقول: أمجاد يا عرب أمجاد، فها نحن ـ الأحفاد – نحارب الفساد حتى يكون لنا الغلبة كما كان للأجداد وليس للهيب النصر عندنا من إخماد مهما تكالبت علينا الأمم أو تشابك ما للمؤامرة من أبعاد، فيمنى إذا كانت لديك في الحسبان، فإنها أيضا لن تقتوي أبدا على فراقك أو حتى النسيان»...



كريم العقبي

كريم محروس العقبي كاتب وروائي مصري من مواليد محافظة البحيرة، حاصل على ليسانس الآداب في السياسة المصرية من جامعة دمنهور، وكان ذلك بعد إنهاء الخدمة العسكرية في شمال سيناء بعد عدة محاولات لأن يصبح طبيبا أو صيدلانيا، وهذه هي روايته الثالثة «كراكلا» بعد «كارجو» و«وراء الحجرات»، ويتمنى أن تنال إعجابكم.. كما يمكنكم مراسلته على صفحته على الفيسبوك:

kareemelokby/com.facebook.www



المحتويات



"وذلك يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة على رأسها ذلك السؤال الذي يقول: يا هل ترى إلى أي مدى ستستمر هذه العلاقة؟ أو ما الذي قد تسفر عنه إذا شرع الباب على مصراعيه لممدوح في التمتع بفترة خطوبته من يمنى وهو الذي يقاسي خلو ذات اليد بعدما أناخ عليه البؤس بكلكله؟؟ فهو الذي كثيرا ما حدثته نفسه بأنها - أي يمنى - الأكثر ملاءمة لإمكاناته بما يجعلها جديرة لأن يسبغ عليها لقب شريكة العمر من المهد إلى اللحد، وذلك من عظيم فضل الله وكرمه مما يجعله يشع ابتهاجا كما يمور في باطن أمره..."

تصميم الغلاف | ياسر علي
Bē .net/ yasseralifgx

